خروج محمود درويش :
هل قتل الشاعر أم بعثه ؟

ريتا عوض

يوم الثلاثاء ، في التاسع من شهر شباط عام ١٩٧١ ، وصل محمود درويش فجأة الى القاهرة(١)، وأعلن في مؤتمر صحفي عقده يوم الخميس في الحادي عشر من الشهر نفسه أن القضية التي يناضل من أجلها هي العنصر الذي دفعه « الى اتخاذ موقع جديد وعنصر جديد للجبهة التي أحارب فيها »(٢). وكان محمود درويش يعي أن الخطوة التي اقدم عليها برحيله عن الارض المحتلة « خطيرة »(٣)، ويبدو انه كان يشعر ان هذه الخطوة ستثير التساؤل والنقاش ، لذلك كان مدخله الى تقديم نفسه في هذا المؤتمر الصحفي قوله : « أريد أن أعلن منذ البداية ، انني أعتبر مسألة وجودي في القاهرة مسألة شخصية أتحمل وحدي مسؤولية اختيارها دون تحويلها الى موضوع للمناقشة والاخذ والرد »(٤).

وكان ما تخوف محمود درويش منه ، اذ انبرت أقلام كثيرة لمناقشة « قضية خروجه » من الوطن المحتل . وحملت بعض الصحف والمجلات عليه بشدة ، ورمي بالهروب وبالتخلي عن النضال . وأجلس محمود درويش في قفص الاتهام ، « . . . وتكاد العيون تخرج من محاجرها اصابع اتهام ، وتنطلق الالسنة خناجر في الظهر : لقد تعب من النضال . هرب وخلى الساح والرفاق . لهفي على البطل يصير لاجئا سياسيا »(٥). ولعل المجلة التي قادت حملة التهجم على محمود درويش هي مجلة « الجديد » اللبنانية، التي اتهمت الشاعر بالخيانة العظمى حين اعتبرته « هدية تل أبيب الى القاهرة »(٦)، وقالت ان خيانته « تستحق الاعدام ، والتشهير بمرتكبها ، واحراق كتبه ، وجعل اسمه لا يذكر الا مقرونا باللعنات ، كما يذكر اسم (ابليس) لعنه الله »(٧).

هذا الكلام يعطي فكرة عن طبيعة الحملة التي تعرض لها محمود درويش اثر وصوله الى القاهرة . ولعل الاحكام السريعة التي يلقيها حملة الاقلام تشير الى التضعضع السياسي والاجتماعي والفكري الذي يعيشه العالم العربي ، اذ تؤكد اللامسؤولية التي وقع فريسة لها من يفترض فيهم أن يكونوا أكثر الناس مسؤولية وهم رجال القلم . ولعل هذا التضعضع يتضح في اختلاط المعايير ، وضياع القياس الحتمي الصحيح مما يسمح أن يعتبر الانسان الواحد مناضلا وخائنا في الوقت نفسه .

من الواضح أن من اتهم محمود درويش بالخيانة لم يكن ينظر الى الشاعر فيه ، بل الى المناضل الذي تخلى عن موقع نضاله . وقد قالها بعض مهاجميه صراحة « فما كان الذي يعنينا من أمر محمود درويش انه شاعر ، وان الصحيح أن نقول ان الذي يعنينا من شعره انه محمود درويش »(٨). وقد كانت هذه النظرة غالبة ، الى حد بعيد ، على جانب كبير مما كتب في محمود درويش وزملائه من شعراء الارض المحتلة ، اذ ظل هذا النقد محصورا في الناحية السياسية ولم يتجاوزها الى الناحية الفنية في نتاجهم الشعري .